من زاوية تربوية

صناعة العقول.. من الصناعات الثقيلة

إعداد

أ.د/ خالد محمود عرفان

أستاذ المناهج وطرق التدريس

وعميد كلية التربية بنين بالقاهرة

جامعة الأزهر.

صناعة العقول.. من الصناعات الثقيلة

عقل واحد مبدع يمكن أن يغير مسار أمة؛ بل يمكن أن يغير مسار البشرية كلها، وقد انتبهت الدول إلى هذا الأمر فعنيت بالعقول البشرية فعملت على تنميتها وإعدادها واكتشاف الموهوبين منهم، وتوجيههم في الاتجاه الصحيح، واعتبر ذلك في القرن الحادي والعشرين بأنه أحد أنواع الصناعات الثقيلة، والثقيلة هنا ليست في الوزن وإنما في القيمة والفائدة والعائد.

وقد عنيت الحضارات المتعاقبة بالعقول وازداد الاهتمام بالعقول في القرن الحادي والعشرين؛ نظرا لاعتمادها على التقنيات والمعلومات مما جعل للعقول مكانة أكبر في الحضارة المعاصرة.

إن صناعة العقول ليس عملا سهلا بل عمل علمي مركب ومعقد له العديد من المتطلبات ويمر بالعديد من المراحل بدء من اكتشاف إلى مرحلة التوظيف وجني الثمار.

إن صناعة العقول ليست قاصرة على الموهوبين كما يظن البعض وإنما تعنى بالجميع مع وجود عناية خاصة بالموهوبين تقوم بها مؤسسات خاصة برعاية الموهوبين من خلال برامج معدة خصيصا لهم في مختلف المجالات.

فهناك صناعة لعقول تقليدية لأداء أعمال تقليدية بكفاءة عالية في ظل معايير جودة محددة لها، وهناك صناعة لعقول مبهرة تستطيع أن تقدم أعمالا غير تقليدية مبتكرة؛ والبحث عنها بين الناس كالبحث عن إبرة في كومة من القش.

إن العقول هي نتاج لعوامل فطرية و وبيئية متنوعة، فالعقل المبدع يكون كحبة قمح إذا توفرت لها البيئة المناسبة اخضرت وأنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، وإن لم تجد البيئة المناسبة أصبح وجودها وجود بالقوة لا وجود بالفعل، وتموت قبل أن تولد، فكم من المواهب في عالمنا لم تشق طريقها إلى النور لعدم وجود من يكتشفها ويرعاها حتى تنضج!

وتمر عملية بناء بعدة مراحل أهمها:

المرحلة الأولى: مرحلة الاكتشاف: وكلما كانت في مرحلة مبكرة كلما كانت أفضل؛ ويستخدم في هذه المرحلة مجموعة من الأدوات كالملاحظة واختبارات الذكاء واختبارات الابتكارية.. وغيرها، وبناء عليه يتم تصنيف الدارسين إلى مجموعات وفق توصيفات وتصنيفات محددة.

المرحلة الثانية: مرحلة بناء البرامج: وفي هذه المرحلة يتم عمل برامج عامة وبرامج نوعية قد تكون لفرد أو مجموعة من الأفراد، ويت في هذه المرحلة عدة خطوات (تحديد الاحتياجات الخاصة بكل مجموعة أو فرد- تحديد أهداف البرنامج في ضوء

الاحتياجات- اختيار المحتوى العلمي للبرنامج بما يتضمنه من معلومات ومهارات وخبرات وتنظيمها في ضوء التنظيمات العلمية للمحتوى- تحديد أنشطة التعليم والتعلم في البرنامج التي من خلالها يكتسب الدارسون المحتوى العلمي- تحديد الوسائل التعليمية التي تساعد المعلم في إكساب الدارسين للمحتوى- تحديد استراتيجيات التدريس المناسبة التي تعمل على إكساب المحتوى مع تنمية الجوانب المختلفة وعلى رأسها لتفكير ومهاراته- توفير التدريبات والتطبيقات التي تثري وتؤكد وتنمي التعلم بشكل إجرائي- التقويم بأنواعه ومراحله ومجالاته لمعرفة مدى تحقيق الدارس لأهداف البرنامج)

المرحلة الثالثة: مرحلة تنفيذ البرنامج: وهي مرحلة مهمة للغاية فلا قيمة للبرنامج الجيد إذ لم ينفذ بشكل جيد، وتنفيذ البرنامج بشكل جيد يتطلب (معلم معد مهنيا وأكاديميا وتربويا وتقنيا بشكل جيد فليس أي معلم يصلح لصناعة العقول- الجدولة الزمنية للبرنامج بما يتناسب مع محتوياته- الإدارة العلمية للبرامج التي تستخدم في صناعة العقول؛ فالإدارة الفاشلة تؤدي إلى فشل البرامج- التعاون والتكامل والتنسيق بين القائمين على تنفيذ البرامج- المتابعة وتقديم التغذية المرتجعة التي تحسن الأداء- مرونة البرنامج وقدرته على مقابلة الفروق الفردية بين المتعلمين

المرحلة الرابعة: مرحلة التقويم: ويتم فيها تقويم (البرنامج بجميع عناصره- الدارس معرفيا ومهاريا ووجدانيا- المعلم أكاديميا ومهنيا وتربويا - الإدارة علميا ومهنيا وتقنيا واجتماعيا)

إن مرحلة التقويم ليست مرحلة نهائية بل هي انطلاقة جديدة نحو تطوير البرنامج للأفضل.

إن صناعة العقول لها العديد من المتطلبات أهمها:

-**بيئة إجتماعية مناسبة:** المجتمع هو جماعة من الناس سواء كانت أسرة أم قرية أم مدينة أم دولة، يولد فيها الفرد وينشأ داخلها ويتعلم من خلالها ومن خلال مؤسساتها الجوانب المختلفة، ووجود مجتمع مستقر وتناغم وداعم ومشجع للعلم وللعقول المبدعة مطلب ضروري لصناعة العقول، فكيف يبدع العقل في أسرة مفككة أو مجتمع متناحر غير مستقر أو عنصري يعاني من صراعات مختلفة أو لا يقدر عقول أبنائه؟!

-**بيئة تربوية داعمة:** البيئة التربوية هي البيئة التي توفرها المؤسسات التربوية المختلفة كالمدرسة والنادي والأسرة .. وغيرها، ومن خل من تقوم به من أنشطة مختلفة تعنى بالعقول وتربية

الموهوبين ودعمهم نفسيا من خلال البرامج المختلفة والنشطة التي تقوم بها في المجتمع، فمثلا يمكن لنادي من الأندية عقد مسابقة في الإبداع الفني أو الأدبي او الابتكار العلمي .. وغير ذلك، ولن تكون تلك المؤسسات التربوية فاعلة في أداء دورها إذا غاب التخطيط العلمي والنفيذ الدقيق والتنسيق مع المؤسسات الأخرى في خطة شاملة للمؤسسات التربوية لصناعة العقول خاصة العقول المبدعة.

-**بيئة تعليمية جاذبة:** البيئة التعليمية هي البيئة التي توفرها المؤسسات التعليمية كالمدارس والجامعات داخل الفصول الدراسية والمعامل وعملها أكثر علمية وتخصصية مما تقوم به المؤسسات التربوية الأخرى.

وتوفر المؤسسات التعليمية البرامج اللازمة وتتبع ذلك بأنشطة غير صفية داخل المدرسة وخارجها بالتعاون مع جهات تعليمية واجتماعية وصناعية واقتصادية وثقافية مختلفة؛ وهذا يفعل الجانب الإجرائي للبرامج التي تضعها في تنمية ورعاية العقول.

-**قرارات سياسية وإدارية ميسرة:** وبدونها لا يمكن أن ننفذ البرامج الخاصة بصناعة العقول، وبدونها تكبل الجهود وتعطل البرامج، ويضيع الجهد في البيروقراطية المكتبية، وسرعان ما تفشل البرامج، وتضيع الجهود أدراج الرياح. فكم من برنامج رائع عطله موظف صغير مستندا إلى قوانين ولوائح بالية عفا عليها الزمن؟!

-**بيئة اقتصادية ممولة:** فلا قيمة للبرامج ولا للعقول ما لم يكن هناك تمويل يمول برامج إعداد وصناعة العقول من أولها غلى آخرها، فكل جيد غال الثمن، وعندما لا يجد العقل الدعم الاقتصادي الذي يساعده على تنفيذ أفكار يكون أمامه إما الهجرة خارج البلاد أو يظل قابعا حبيس نفسه حتى تموت الفكرة او يموت صاحب الفكر حسرة وحزنا.

-لذا قال الشاعر:

بالعلم والمال يبني الناس ملكهم *** فلم يبن ملك على جهل وإقلال.

-**الشراكة في صناعة العقول:** فصناعة العقول ليس عملا أحادي الجانب إنما متعدد الجوانب يشارك فيه جميع مؤسسات وطوائف المجتمع (الوزارة – المدرسة المساجد – الأندية- المراكز الشبابية – جمعيات المجتمعة- الأسرة الطلاب أنفسهم- متخذ القرار.. وغيرهم) حتى تصبح صناعة العقول عملا شاملا مدعوما من المجتمع كله، وأكثر تعبيرا عن آمالهم وطموحاتهم.

-**التخطيط الشامل:** العمل بلا تخطيط شجر بلا ثمر، والتخطيط لصناعة العقول لا بد أن يتسم بالشمولية والتنسيق بين جميع الجهات والبرامج، وأن يمتد لفترات زمنية طويلة،

فالتخطيط يوفر الجهد ويقلل التكلفة، ويجنبنا التعارض والتكرار.. ويجعل صناعة العقول منظومة واحدة متناغمة.

إن صناعة العقول ليس عملا فرديا؛ بل هو مشروع قومي، إذا أردنا أن نكتشف ونستثمر مواردنا البشرية بصورة فعالة تعمل على النهوض بالمجتمع في جميع المجالات؛ فعلينا أن ننتبه قبل فوات الأوان إذ لم يكن قد فات.

وإذا أردت التأكد من أهمية العقل وصناعته في تراثنا الاسلامي ما عليك إلا أن تتصفح كتاب الله وسنة رسوله ستجد عشرات المواقف التي تعلي من العقل وشأنه وأهميته الدينية والدنيوية؛ بل جعله الله عز وجل أداة للوصول لمعرفته والإيمان به.

إن الصراع بين الدول الآن ليس على الموارد أو الصناعة أو التجارة أو الموارد فقط بل أصبح الصراع أيضا في صناعة العقول المبدعة في عصر التقنيات وتجارة المعلومات.

ولنتذكر دائما.. أن عقلا مبدعا واحدا قد يغير مسار أمة لعشرات السنين.

أ.د/ خالد عرفان
عميد كلية التربية بنين بالقاهرة